



الجزء الثاني:

الجسد هذا الأنا الآخر

من الإنانة إلى الإننا الآخر



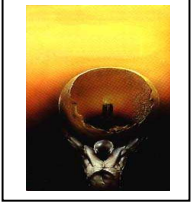
" الحقيقة يمكن العثور عليها من جديد، وفي أغلب الأحيان تكون قد كتبت في موضع آخر "

لاكان



1- من الجسم إلى الجسد:

ألا يستلزم تأكيد الإنية توسط الجسد؟ هذا التساؤل لا يدفعنا لمعاودة النظر في الإنية والتشكيك في منطق الأناثة و إنما يلزمنا بالتمييز بين الجسد والجسم بحيث أن اثبات الإنية قد لا يحتاج توسط الجسم و لكنها لا تدرك في اقضاء الجسد، لأنها الجسد.



أ- الجسد الخاص : [من الجسد الموضوعي إلى الجسد الفينومينولوجي]

يفيد الجسد في أن الموضوع الذي يمكن إدراكه وما لا يمكن أن ندرك بدونه. من جهة إمكانية إدراكه يكون الجسد شيئاً من أشياء العالم، أو موضوعاً هو الجسم أو الجسد الموضوعي، أما من جهة الاستحالة يكون الجسد هو الذات أو هو الإدراك ذاته، وهذا هو الجسد الفينومينولوجي، فالجسد دائماً معي وليس أمامي.

Merleau-Ponty:
« Le corps, , est avec moi, jamais devant moi...»

الجسد الفينومينولوجي هو الجسد الواقعي الذي من خلاله أدرك، و الذي بفضلله أكون في العالم، أو يفعل بطريقة يكون بالنسبة لي هناك عالم. أما الجسد الموضوعي فهو مجرد مفهوم بالنسبة لي، أو هو جسدي كما يمكن رؤيته في جسد آخر.

إذا كان جسدي يتمنع عن الاستكشاف والمعرفة فهذا لأنه حامل جملة العادات، و مكان إقامة أفعالي اليومية، وهو الذي يضيف المعنى لعالمي اليومي. و الذات المتجسدة لا تنفصل عن العالم بل تنخرط فيه بحسب موقع لها، وعبر هذا الموقع تتواصل وتعي، وعبر هذا الموقع يكون في كل مرة هناك " فهم ما " للعالم؛ الذات تعي العالم بحسب منظورية الجسد، لأن " الإدراك ينتج عن فعل الشيء في الجسد وفعل الجسد في النفس " فعلى النحو الذي يكون عليه جسدينا، وبحسب موقعه، في العالم ومع العالم، يكون وعينا. بل الوعي صيرورة تستوجبها منظورية الجسد، و كل تعطيل في عضو من



أعضائه ينجرّ عنه تعطيل في الوعي؛ فيظهر العالم بهذا المعنى للذات المتجسدة فضاء قدّ من الدلالات، ومساحة مشحونة بالقيم والمعاني، ومجالا للترميز و التمعين، لأنه حاصل ما تفهمه وتذكره و تعرفه الذات المتجسدة. وبما أنني لا أمتلك الوعي الحقيقي بجسدي إلا في الفعل، و بما أن الفعل يقتضي في تحققه التغافل على الجسد للانخراط في العالم، فإنني لا أمتلك الوعي بجسدي إلا بتوسط الوعي بالعالم. و لكنّ جسدي ليس جزءا من المكان وإنما هو ما لا يكون المكان بدونه. إذ يمكن أن نقول أن جسدي يوجد دائما هنا و لكن "هنا" هذه لا مكان لها بل هي ما قبل المكان، أو هي ما به يكون المكان ممكنا.

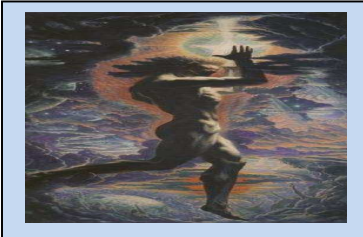
M. Merleau Ponty : « véhicule de l'être au monde », ...
« l'expérience motrice de notre corps nous fournit la manière d'accéder au monde et à l'objet, une praktognosie qui doit être reconnue comme originale et peut-être originaire ».

phénoménologie de la perception, p 402



ب- تجربة الجسد : أو الجسد المعيش

مع مرلوبونتي لا يدرك الجسد باعتباره جسما أو نشاطا عضويا خالصا أو موضوعا الإدراك و إنما باعتباره الإدراك. و لذلك يرفض الإقرار بقدرّة النفس على الفعل في الجسد خاصة لحظة يتحول الجسم جسدا إنسانيا. و هذا التحول هو تحول جوهري لأنه دليل القطيعة مع النظام البيولوجي و الانتروبولوجي. خالانتقال نحو الجسدي هو قفزة نوعية نحو الإنساني، حيث ينفصل الجسد الإنساني عن الجسد الحي. و رمزية الجسد الإنساني ليست منطقية، و إنما معيشة، و تجربة الجسد تحيل على دلالات لا يمكن ردها للتفسير العلمي و لا للفهم الميتافيزيقي للإنية و هذا ما يدفعنا ضرورة للتمييز بين جسد نعرفه connu و جسد نعيشه vécu.



Merleau-Ponty: « En tant que j'ai des mains, des pieds, un corps, un monde, je porte autour de moi des intentions qui ne sont pas décisives et qui affectent mon entourage... »

Phénoménologie de la perception, p. 502



2- من الجسد إلى العالم:

ج- الإدراك حضور في العالم:

تستهلك التجربة الإدراكية حضور الجسد الخاص في العالم و هو إدراك بسيكولوجي و قصدي في أن ، فيعطي مرلوبونتي الإدراك ما يعطيه ديكارت للفكر، حيث يكون الإدراك نشاط الجسد. الحضور في العالم هو حدث من فعل الجسد الإنساني، فإدراك الحيوان يحيل على الوسط milieu في حين يحيل الإدراك الإنساني على العالم monde ، أن نفكر في فلسفة الحضور هو أن نفكر في عالم الإنسان ، و كأننا نقول أن الحيوان لا يدرك.



Merleau-Ponty: « La perception m'offre des présences»

« La nature de la perception »

Le primat de la perception et ses conséquences philosophiques, op. cit., p. 45

هذا التمييز يقتضي النظر للإدراك لا على أنه معرفة فحسب و إنما على أنه خبرة وجودية، لأن الإدراك هو الذي يحدد شكل الوجود. و في حضور الجسد في العالم نشهد ولادة المعنى. ونحن لا نقيم مختلف الوضعيات الإنسانية انطلاقا من ذات مفكرة و إنما انطلاقا من ذات جسدية. إذ يولد نداء العالم من الإمكانية ذاتها الخاصة بالجسد على إنتاج العالم انطلاقا من الإدراك.

Merleau-Ponty: «« Notre corps en tant qu'il se meut lui-même, c'est-à-dire en tant qu'il est inséparable d'une vue du monde [...] est la condition de possibilité non seulement de la synthèse géométrique mais encore de toutes les opérations expressives et de toutes les acquisitions qui constituent le monde culturel. »

Phénoménologie de la perception , p. 502



الوعي في قصديته يتجه نحو العالم، و لكنه لحظة يقصد الأشياء يجهل أنه يقدمها. هكذا تريد الفينومينولوجيا أن تكون نظرة جديدة على العالم، نظرة أصيلة تكون بمثابة العودة نحو المعنى، نحو التجربة، ضدّ النظرة العلمية، إذ تبدو الفينومينولوجيا كخطاب خارج المعرفة، باعتبارها تعليقا للحكم. وباختصار



استعادة تلك الدهشة القديمة تجاه العالم، إذ يعتبر مرلوبونتي أننا مع العلم ومع المعرفة نميل دائما إلى نسيان العالم. والمقاربة الفينومينولوجية هي شرط البقاء في عالم الكهف أو شرط العودة إليه. وعودة الإنسان للكهف هي في النهاية عودة للجسد الذي بفضل الإنسان على أصالة الوجود في العالم.



العودة إلى عالم الكهف لا يجب أن تفهم على أنها عودة لعالم الظنّ و الوهم ، وإنما على أنها عودة إلى عالم المعنى، و قد يكون ثمن المعنى عودة أشياء الكهف وموضوعاته، ولكن ليس للكهف أشياء وموضوعات إلا ما صنعه السجناء، و بالتالي ما يستعيده الكهف هو الإنساني ذاته، لأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يوجد في العالم و في ذهنه عالم. بل هو الكائن الوحيد الذي يعيش ويتفاعل مع عالم كهفه و ذهنه، أكثر من تفاعله مع عالم الأشياء في ذاتها و عالم الحقائق.

إذا كان بالنسبة هديجير الوجود في العالم يعني أننا ذراين [كائن هنا Dasein] فإنه بالنسبة إلى مرلوبونتي الإنسان هو جسد منحط في العالم، وهذا يعني أنني لست شيئا من الأشياء المادية في العالم، و لكنني انخرط في عالم الأشياء والعالم البيئذاتي. و بفضل المنظورية يوجد الإنسان في العالم و في ذهنه عالم، إذ تمتلك المنظورية أفقا، هو الأفق الذي تتقاطع فيه كل الإدراكات الأخرى، وهو أفق الذاكرة الثقافية، هذه هي العوالم التي يحيل إليها الوجود في العالم أو الذي يسميه مرلوبونتي l'inter monde ، المكان الذاتى يستدعي كل الأشياء التي غابت عن عالم المنظورية، و التي يمكن إدراكها. باختصار من جدلية المنظورية والأفق يولد المكان الموضوعي ولكن حتى نمتلك حدسا أولي بالموضوع، وحدسا بالمدرجات الأخرى في جدلية النظر و الأفق، هنالك تجربة الجسد حيث لا نتحدث عن الكوجيتو و إنما عن الأنا المنحط Je-engagé .



أنا في العالم أتعامل بشكل مباشر و هذا هو الذي يسميه مرلوبونتي اللحظة الماقبل تفكيرية préréflexifs ، فأنا هنا يعني أن لجسدي وضعية ما je suis mon corps en situation وهذا الوضع الذي عليه جسدي هو الذي سيحدد طبيعة علاقتي بالأشياء من حولي، فالمكان تنظمه ممكنات جسدي، وأن أقدم تحية لصديق في الطرف المقابل يفترض انحراط الجسد في كليته في العالم ومع الغير .



تبين لنا كيف كشف مرلوبونتي خصوصية الجسد من جهة تمييزه عن الموضوع، إذ هو قادر على إدراك ذاته في استقلالية عن الموضوعات ، فما تستطيعه الأنانة في الطرح الديكارتي ، من جهة قدرتها على الانغلاق على ذاته ، يستطيعه الجسد في المنطق الفينومينولوجي من خلال انفتاحه على العالم أو انحراطه فيه . فثبت لنا أن الإعتراف بالجسد هو اعتراف بما كان يعدّ غيريّة تشدنا لعالم الحيوان، وهو إعتراف جعل من الجسد عتبة الإنسانية و أساسها، ولذلك يبدو أنه من المفيد أن نعلن بعودة الجسدي احتواء الإنيّة للغيريّة وهو اعتراف كما استعاد في طياته العالم و أشياءه يستعيد للذات أشياءها الخفية أو المكبوتة، و كأننا نعترف بعودة الجسد هذا الأنا الآخر الممتنع عن الاستكشاف أن الإنسان في ما يخفى و يخفي في آن.



3- الغيريّة عمق الإنبيّة:

أحدثت فرضيّة اللاوعي في التحليل النفسي رجّة و ثورة حقيقيّة في سؤال الإنبيّة، إذ أعاد هذه الفرضية تركيب بنية الإنبيّة، انتقلت بنا من سطح الوجود الإنساني إلى عمقه، ومثلت إعلانا عن نهاية براديقم الأناقة، أو مثلت قطيعة إبستيمولوجيّة، كشفت خلا في النموذج، وهي ثورة قد انتقلت بنا من الإنبيّة البسيطة إلى الإنبيّة المركّبة؛ و علم النفس منذ ديكرت، المتأثر بالبراديقم الاستبطاني¹، لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن ينجب مثل هذه الفرضيّة و لا أن يحدث مثل هكذا ثورة.

و أن ننظر للأشياء الفارقة المعنى، أحلاما كانت أم هفوات، على أنها أشياء ذات معنى، يعني أن نعتبر أن اللاوعي، يفكر، يحلم، يرغب، يصعد، ولكن دون العلم بذلك، وهذا يعني كذلك أن هناك مراحل في الحياة النفسية لم يتم تجاوزها بالكامل، أي هناك شيء في الرغبة لا يزال طفلا.

أ- اللاوعي و الوجه الخفي للإنبيّة:

• ظاهرة الحلم:

الحلم لا عقل فيه ولا فكر، فوضى لا معنى لها؛ لكن إذا كان هذا صحيحا لماذا نحلم؟ هذا الذي يدفعنا إلى الامعطي و الامعقول؟ هذا قلنا في البداية عن ظاهرة الحلم هو ما يؤكده المفكر الكلاسيكي الذي يعتبره ظاهرة لا تستحق الدراسة، لأن لا مبرر لها ولا دوافع تحدّها، فهو بمثابة المجانية أو الالجدوى؛ و لكن ألا يمكن أن يكون الحلم كمالا اللاوعي يتطرك

¹. النفس=وعي: و هذا الوعي مدرك بطريقة مباشرة؛ فالفكر وعي أو لا يكون، وكل ما لا ينتسب للفكر فهو منتسب لجوهر الامتداد، وهذا الجوهر لا علاقة له بالوعي، وهذا له استتبعات في القراءة الديكارتية، أهمه استحالة الحديث عن "فكر لا واع"، إذ في ذلك تناقض و خلف، وإذا أردنا التعمق في هذه المسألة نقول أن المشكل في القراءة الديكارتية ناتج عن الخلط بين "الوعي و الانتباه، والوعي والتفكير"، ولكن هل أنا "أفكر" هي ذاته أنا" انتبه؟؟ و إذا كانت النفس فكرا وجب لكي توجد أن تفكر دائما أو أن لا تتوقف عن التفكير وهذا ما يقوله ديكرت بوضوح:

Je trouve ici que la pensée est un attribut qui m appartient elle seul ne peut être détachée de moi. Je suis, j existe, cela est certain, mais pour combien de temps? A savoir autant de temps que je pense, car peut être se pourrait-il faire, si je cessais de penser, que je cesserais d être, d exister.



داخل منطق قصديّ، يؤسس دوافعه ويحدد أهدافه؟ هل كلّ أحلامنا بهذه البراءة و بهذا الالامعنى؟

قد تتحدّد قصديّة حلم ما إنطلاقاً من رغبة ما، وبذلك يمكن أن يكون هنالك داخل الحلم فكراً كامناً أو لنقل فكرة ناظمة تحرّكها رغبة، تظهر في الحلم بشكل مبعثر فوضويّ و كأن لا معنى له. ما حدث في الحلم يمكن أن يحدث في اليقظة، فيما نسميه "المفوات"، مثل زلة القلم سبق لسان، النسيان، التعثر، فقدان الأشياء...

• المفوات Parapraxis :

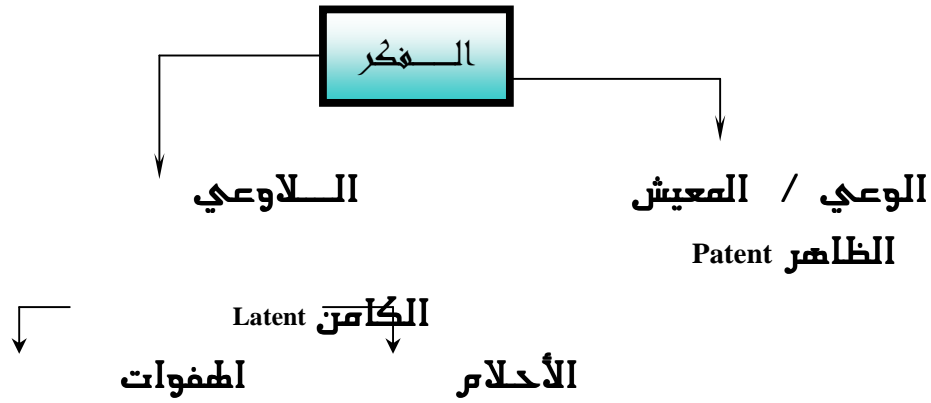
المفوة هي فعل يعجز الوعي عن القيام به أو ردّه، لذلك تظهر المفوة على أنها عديمة المعنى، و لا نوليها أيّة أهمية، خاصة إذا كانت ميزتها الأساسية، أنها تخطئ هدفها، ولكن ليس كل ما يظهر للوعي على أنه غريب، يعني أنه محروم من المعنى، وقد ذكر فرويد مثالا يكشف فيه أن المفوات في الأفعال، ليست حكراً على العصبيين بالعصاب، بل قد تعترض الأسوياء كذلك، فـرئيس النمسا أراد أن يفتتح ملتقى، فقال: "أعلنوا سادتي الحضور أن الجلسة أغلقت، عفوا بدأت"، فإما أن ننظر لهذا التصريح بسطحيّة، أو أن نفكر في هذا القول فنتنبه، إلى رغبة كامنة وراء المفوة تقول: "لا أريد فتح هذا الملتقى". و الحال كذلك بالنسبة لباقي المفوات التي لا تحصي في حياتنا اليومية².

و من خلال فرضيّة اللاوعي المهيمن على الرغبة، أو الغايط الرسطي باسطم الرغبة، تواجه الأنا معركة صعبة، لذلك يعتبر فرويد أن الإنسان ليس سطيّدا حتّى في بيته، فليست كلّ أفكاره هي أفكاره أو هلي أفكاره و لا أنتبه لذلك، إذ هناك في الذات مناطق لا يصلها نور الوعي:

². س. فرويد: "قد تقع في سبق لسان أو زلة قلم و قد نخطئ في القراءة أو نتعثر و قد نضيع أمتعة أو نكسرّها... يضاف إلى ذلك الأعمال و الحركات التي يقوم بها الناس دون أن يشعروا بها... كان يلعب الواحد ببعض الأشياء بصفة آليّة أو يدندن ألقانا أو يقلّب أصابعه أو يتلمس ثيابه الخ" Cinq Leçons sur la psychanalyse /ed, Payot. p42



هكذا تبدو فرضية اللاوعي قراءة ممكنة للإنسان في جوانبه المضيئة في السطح وجوانبه المظلمة في الأعماق، على أنها فرضية تمكننا من فهم الحياة اليومية النفسية للإنسان، و تمكننا كذلك من معرفة الذات، فليس الأنا سيد المنزل [النفس] وحتى وإن كان سيدا، فهو ليس الساكن الوحيد، إذ تسكن مع الأشباح اللاوعية، والرغبات الغير مشبعة، المكبوتة. و على الأنا أن يعترف أنه ليس الفكر في كليته بل يدرك من الفكر ظاهره، و يبقى في الفكر فكر كامن:



عندما يدخل الفكر الكامن في الخطاب، أو يدخل الرغوي، علينا انتظار اللاوعي، و الخطأ كل الخطأ أن نعتقد أن اللاوعي هو "أنا" مختلف عني أو لا يخصني، بل هو جزء من الأنا التي لا أدركها، هو ماض يثقل كاهل حاضرننا و لكنّه في كلّ الأحوال ماضينا.



ب - الجهاز النفسي بما هو بنية الإنيّة:

يشبه فرويد الجهاز النفسي بمنزل يحتوي ثلاث غرف، كل غرفة مستقلة عن الأخرى داخليًا، ولكنها مرتبطة بذات المنزل:

الأنا الأعلى Sur Moi	الأنا Ich le Moi	الهو le Ca[ES]
<u>مبدأ الفضيلة</u>	<u>مبدأ الواقع</u>	<u>مبدأ اللذة</u>
<u>[الضمير]</u>	<u>[العقل]</u>	<u>[الرغبة]</u>
* يتكون من تداخل القوانين العائليّة + الاجتماعيّة	أداة تكيف + وسيط * حاصل اصطدام الهو بالعالم الخارجي	عدوانيّة + جنسيّة Eros Thanatos
<u>[الأوامر]</u>	لا شعوري + شعوري	<u>[الدوافع]</u>
المواعظ + النواهي	من جهة الرغبة من جهة الواقع	* مصدر الطاقة النفسيّة (إشباع *** كبت)
* جزء منه لا شعوري إذ لا تتحكّم في كلّ الموانع.	* يمارس عملية الكبت رغم توابعه مع الهو.	* الهو أناني لا منطق له ولا أخلاق
* يتكوّن فينا تحت تأثير سلطة الأب، لذلك يقوم مقامه و قد يكون أشد قسوة منه.	* الأنا في الظاهر يحترم مقتضيات الحياة الاجتماعيّة؛ و في الباطن خادع وفيّ للهو.	* يمرّ الهو في نوعه بثلاث مراحل:
	* يعتمد أسلوبا ديبلوماسيا يقوم على الرياء والتخيل.	أ. المرحلة الفميّة: الفم موطن اللذة: رضع + عض + مص
	* مهمته اقتصاديّة تحاول التوفيق بين رغبات الهو [الإعلاء] و مطالب العالم الخارجي [الكبت]	ب. المرحلة الشرجيّة: التبول + التبرز
		ج. المرحلة التناسليّة: إكتشاف الأعضاء التناسليّة، وظهور عقدة أوديب و إكترها.

يظهر هذا الجهاز النفسي اللاوعي على أنّه الرغبات المكبوتة، والكبت هو هروب من الصراع و الألم والتوتر، ولكن لا يمكن إلغاء الرغبة المكبوتة، فهي تبقى رغم الرقابة وخيانة "الأنا"، تترصد الفرصة السانحة للظهور في



الوعي، إما رغما عنه [الطهفات] أو برضاها [الإعلاء] ، وهكذا نفهم أن التوازن الذي أقامته الذات-بفضل الكبت-توازن هشّ و ضعيف ، إذ تستطيع الرغبة المكبوتة أن تخترق الرقابة و أن تراوغ الذات و ذلك بتغيير شكلها الأصلي³، هنا بالذات تبدو صعوبة مهمة الأنا، على اعتبار أن دورها الوسيط يقتضي منها التوفيق ، بين السلط الثلاث ، العالم الخارجي و "الهو" و "الأنا الأعلى"، فممارسات مثل الكبت و التبرير والنكوص و الإسقاط والإعلاء...كلها حيل عقلية تعتمد على الأنا للتحكم في الصراع، "الأنا مسكين إذ عليه أن يخدم ثلاث أسياذ قساة، وهو يجهد نفسه للتوفيق بين مطالبهم"⁴، والأنا لا ينجح دائما في مهمته ، التوفيقية و الاقتصادية ، وينتج عن فشل المهمة جملة من الأمراض يمكن اختزائها في : أمراض عصابية Névrose وأمراض ذهانية Psychose و بالتالي لا يتميز السويّ عن اللاسويّ إلا بقدرة الأول على التحمل والصبر [الكبت]، أو على التحيل والمراوغة [الإعلاء]⁵، هكذا يمكن أن نقول مع كارل يسبرس " أن الإنسان لعبة لا شعوره، بقدر ما يكشف عنه، بقدر ما يتحكم فيه"؛ وعليه تظهر فرضية اللاوعي من الضرورة بحيث لا نفهم الإنسان بدونها ، وقيمتها تكمن في قدرتها على فهم الوعي ذاته ، و تحملنا مسؤولية ما نتركه خارج الوعي في المناطق المظلمة والمساحات النائية فيها. يبدو أننا مع فرويد نتعلم شكلا جديدا من الشك، لا ريبنا من جهة شططه وشموله، ولا ديكارتيا من جهة منهجيته و يقينه، بل علميا من جهة فرضيته وقدرته على التشكيك في الذات ذاتها، في الإنسان من جهة الماهية وواحدية الجوهر، و في الحرية من جهة أننا كائنات نتحكم فيها جملة من البنى، وأن الشكل الوحيد للتححرر لا يتمثل في الإنعتاق من هذه البنى أو التخلص منها، وإنما في السعي لفهمها و معرفتها والاعتراف بوجودها.

³ عودة المكبوت تكون في شكل تقمص Déguisement و هنا تظهر صعوبة مهمة الأنا.

⁴ S.Freud. Nouvelles conférences de psychanalyse/1932.ed.Gallimard/1936.p104

⁵ [الإعلاء: هو قدرة الوعي على تحويل المرغوب مقبولا، إذ تحول الأنا الطاقة الجنسية و العدوانية إلى دوافع إبداعية، تخفي أصل هذه الرغبة، فتقبل على مستوى الواقع، بطريقة تراوغ فيها الأنا الأعلى، فيتحوّل بذلك دافع جنسي إلى إبداع موسيقي، أو إلى أثر فني، أو إلى أعمال خيرية و اجتماعية، كما تتحول رغبة عدوانية إلى ممارسة نقدية أو رياضية.



عمق الإنيّة أو ما يتخفى وراء قناع الأنانيّة

